أزمة تمثيل أهل السنة والجماعة بين الأشاعرة والسلفية

د. عبد الكريم بليل
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2019/07/12	2020/04/02	2020/04/20

الملخص:

يمثل الاختلاف بين الناس في عقائدهم من المظاهر البشرية التي صاحبة الحضارات البشرية، ومن عمليات الدور التي تطرأ على الملل وتمس النحل؛ فيبرز فيها أفكار ومقالات مغايرة لأصول نشأتها الأولى، وهو ما يلاحظه الباحثون في الأديان ودارسوا الفرق وعلماء الاجتماع.

من ذلك نشوء الفرق والمذاهب بين المسلمين؛ ثم نزاعها حول الأحقية الشرعية والأولوية لتمثيل الدين الإسلامي، ومن أكبر الفرق الحنابلة والأشاعرة، وقد تجاذب الحنابلة والأشاعرة الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، وادعى كل طرف التمثيل الحصري مذهب أهل السنة والجماعة، ورفض قبول انتماء غريمه لطائفة السنة والجماعة، بل تعدى الأمر للتبديع ثم التكفير، والإقصاء من دائرة الإسلام جملة.

فمن الذي يمثّله تمثيلا صحيحا؟ ومن الذي انحرف عنه؟

الكلمات المفتاحية: أهل السنة والجماعة - الأشاعرة - السلفية - أهل السنة - السلف.

Abstract:

The difference between people in their faiths is one of the human manifestations of human civilizations, and of the role processes that get bored and affect bees; it brings out ideas and articles that differ from the origins of their initial origin, as noted by the scholars of religion and the Darsawa teams and sociologists. This is the emergence of sects and doctrines among Muslims; then its dispute over the legitimacy and priority of the representation of the Islamic religion, the largest hanbalis and the most numerous groups, and the Hanbalis and the scholars have attracted belonging to the people of the Sunnah and the community, and each party claimed the exclusive representation of Ahlu Sunnah and congregation, and refused to accept Rivals belonging to the

community of the Sunnis and the congregation, but it has encroached upon atonement, expiation, and exclusion from the circle of Islam. Who is properly represented? And who deviated from it?

Key Words: Ahl al-Sunnah, Al-Jamaat, al-Ashrah, Salafi, Ahl al-Sunnah, Salaf

مقدمة:

يمثل الاختلاف بين الناس في عقائدهم إحدى المظاهر البشرية التي صاحبة الحضارات البشرية، ومن عمليات الدور التي تطرأ على الملل وتمس النحل؛ فتبرز فيها أفكار ومقالات مغايرة لأصول نشأتها الأولى، وهو ما يلحظه الباحثون في الأديان ودارسوا الفرق وعلماء الاجتماع الديني. من ذلك نشوء الفرق والمذاهب بين المسلمين؛ ثم نزاعها حول الأحقية الشرعية والأولوية لتمثيل الدين الإسلامي، ومن أكبر الفرق السلفية والأشاعرة، وقد تجاذبتا الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، وادعى كل طرف التمثيل الحصري، ورفض قبول انتماء غريمه، بل تعدى الأمر للتبديع ثم التكفير من بعض أتباعهما، والإقصاء من دائرة الإسلام جملة.

و جذور الأزمة تمتد مذ أشهر الإمام أبي الحسن الأشعري مقالته وظهر مذهبه، فقام عليه الحنابلة (السلفية) بصفتهم ممثلين لأهل السنة والجماعة في زمنهم؛ ثم دار الزمان وصار للأشاعرة دولة وقوة وغلبة وكثر سوادهم وامتد مذهبهم حتى شمل بلاد المغرب العربي ومصر والسودان والشام وجزيرة العرب والعراقين، وكاد مذهب الحنابلة (السلفية) يندثر بعد غزو المغول للعراق والشام وهلاك أكثر علمائهم؛ إلا من نجى من أهل الشام ومن فر إليها قبل الغزو ونفر منتشر في بلاد المسلمين، إلى أن بعث المذهب على يد ابن تيمية، ليتجدد الصراع مع متأخري الأشاعرة، ثم يستمر إلى عصرنا؛ وما شهدناه في "مؤتمر أهل السنة والجماعة" أو "المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين" المعروف ب: "مؤتمر الشيشان" أو "مؤتمر غروزني". يوم 25 أغسطس 2016م، تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة؟ حيث أقصي "السلفية" من أهل السنة والجماعة.

وقبلها أعلن رفض انتماء الأشاعرة لأهل السنة والجماعة من كثير من علماء ومشايخ ودعاة الحنابلة السلفية؛ في كتبهم ومحاضراتهم ودروسهم، وأحدثها فتوى أحد علماء السلفية ومرجعياتهم بالجزائر بإقصاء الأشاعرة والماتريدية والصوفية من أهل السنة والجماعة.

في ذا البحث لا نسعى لبسط المسائل الخلافية بين الأشاعرة والسلفية، ولا مناقشة التهم المتبادلة من كلا الطرفين، ولا تحقيق المسائل التي نسبة لأحدهما؛ وهو بريء منها، لأن هذا الطرح يطول جدا إن عرض بتحقيق منصف، بل نسعى لبحث جزئية واحدة وفقط، وهي إشكالية المقال:

- **من الذي يمتلك صلاحية تمثيل أهل السنة والجماعة؟**
- **ماهي جذور الصراع على الانتماء العقدية والسياسية؛ وخلفياته وتداعياته العقدية والاجتماعية والدعوية؟**
- **ما هو موقف المحققين في كلا المذهبين من القضية ؟**

أولا: صلاحية تمثيل أهل السنة والجماعة:

لمعرفة من يمتلك صلاحية تمثيل أهل السنة والجماعة؛ يكفي الرجوع لمفهوم أهل السنة والجماعة، وبذلك نعرف قواعد وأصول المذهب، التي تجمع الأتباع وتفارق المخالفين لها.

يمثل أهل السنة والجماعة الطائفة الإسلاميّة الأكبر عددا من المسلمين، وتَستند على مصادرِ تشريعٍ أساسيةٍ أربعة وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس. وسُميت هذه الفئة بأهل السنة نظراً لتمسكهم بسنةِ رسول الله ﷺ عناية ورواية ودراية، وعملا، فكانت حجية العلوم عندهم قائمة على موافقة السنة، وهي مورد الخطاب عندهم في فهم كتاب الله تعالى والتحاكم إليها.

يرجع أهل السنّة والجماعة للأئمة الأربعة في الفقه الإسلامي، ويؤمن أهل السنّة بخلافة كلٍ من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً، ويعظمون الصحابة ويوقرونهم ويشهدون لهم بالصحبة والخيرية جملة.

مصطلح أهل السنة والجماعة ليس توقيفيا، فهو لقب ظهر لوصف جماعة من المسلمين تمسكوا بجملة من المبادئ والأصول في فهم الدين الإسلامي، وأقروا جملة من المصادر والمرجعيات، وقد سبق ظهور مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح أهل السنة، وهم المحتكمون لسنة نبيهم في فهم دين الله تعالى؛ وبذلك فارقوا الشيعة، ثم أضافوا "الجماعة" ليفارقوا الخوارج المنشقين عن الجماعة، أثناء الفتنة الكبرى (35-40هـ/ 655-

661م)، وسموا بأهل السنة، وأهل الحديث، وأهل الأثر، والحنابلة (عقيدة لا فقها) وغيرها، وكل مسمى له مقابله استدعى ظهور اللقب، للتميز من حيث النموذج المعرفي العقدي والنظرية المعرفية للوحي والأصول المصدرية.

أول من أثِر عنه هذا اللفظ هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ [آل عمران 106]، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة [(1)].

مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة (ت150هـ-767م)، ومالكًا (ت179هـ-795م)، والشافعي (ت204هـ-819م)، وأحمد (ت241هـ - 855م)، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم"[(2)].

فالأصول قديمة والتسمية حادثة، وكلما أحدث جماعة مقالة؛ تميزوا عنها بالعنوان، لذلك حينما وقعت فتنة القول بخلق القرآن، وصمد الإمام أحمد بن حنبل، وكان إماما لأهل السنة فيها ضد المعتزلة والجهمية، سمي أتباعه في العقيدة حنابلة وإن خالفوا في المذهب الفقهي، و"ما زال كثير من أئمة الطوائف من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية - وإن كانوا في فروع الشريعة متبعين بعض أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين - فإنهم يقولون: نحن في الأصول أو في السنة على مذهب أحمد بن حنبل (ت241هـ -855م)، لا يقولون ذلك لاختصاص أحمد بقول لم يقله الأئمة، ولا طعنًا في غيره من الأئمة بمخالفة السنة؛ بل لأنه أظهر من السنة التي اتفقت عليها الأئمة قبله" [(3)]، وأتباع السلف الصالح هم أهل السنة والجماعة، وهم الأحق بالنسبة، "فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبعوهم إلا رسول الله ﷺ.. فمن أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة " [(4)].

اختلف العلماء في المقصود بالجماعة على أقوال أهمها:

1- أن "الجماعة" هم الصحابة دون من بعدهم، فهم " لا يجتمعون على ضلالة أبدا "[(5)].

2- وقيل: إن "الجماعة" هم أهل الحديث، أو أهل العلم المجتهدون، وهذا رأي البخاري، وأحمد، الترمذي، ابن المبارك، علي بن المديني، وأحمد بن سنان[6].

3- قيل: إن "الجماعة" هم السواد الأعظم، وعليه رواية الافتراق: الفرقة الناجية هم السواد الأعظم[7]. أي جملة الناس ومعظمهم[8]. " السواد الأعظم هم الناجون من الفرق "[9]. ويقول أبو مسعود الأنصاري: ".. وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمته على الضلالة"[10]. يقول الشاطبي معقبا: فعلى هذا القول يدخل في الجماعة: مجتهدو الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم. فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؟ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال "[11].

4- وقيل: إن "الجماعة" هم جماعة أهل الإسلام؛ إذا أجمعوا على أمر من أمور الشرع، سواء في أمور الأحكام أو المعتقدات، " وهو اتفاق المجتهدين من الأمة في عصر على أمر ديني[12]. فالجماعة هم أهل الإجماع.

5- إن الجماعة: هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وهذا رأي الطبري[13].

هذه أهم الأقوال في "الجماعة"، وحاصلها أن "الجماعة" ترجع إلى أمرين:

- **أحدهما:** أن "الجماعة" هم: الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها. وهو اجتماع سياسي حصل بانشقاق الخوارج.

- **الثاني:** أن "الجماعة": ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهذا معنى "الجماعة" بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الاجماع، أو السواد الأعظم.

فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذ، ولو كان المتمسك بهذا قليلا، ولهذا قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك "[14].

نخلص من تفاسير ومفاهيم أهل السنة الجماعة وأصولها أن مسماها يسع السلفية والأشاعرة والماتريدية، وهذه أصولهم في أمات تضاعيف أئمتهم توافق بعضها البعض، وأكثر

اختلافاتهم في الدقائق، وأكثر خلافهم في مسائل الصفات والأفعال، وكلما بعد به الزمن عن أئمتهم الأول زاد الخلاف وتشقيق الردود.

ثانيا: علاقة الحنابلة بالأشاعرة:

امتد نشاط المدرسة الحنبلية حتى شمل تسع مدن كبرى هي: بغداد، أصبهان، هراه، حران، آمض، همذان، بيت المقدس، دمشق، وطبرستان، وفي مصر ظهرت المدرسة الحنبلية في النصف الأول من القرن السادس الهجري، في حين كان وجودها في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس قليلا. وكانوا هم الممثل الحصري لأهل السنة والجماعة، ولم يعرف ويشتهر اللقب إلا فيهم وعليهم، في مقابل الفرق العقدية لا المذاهب الفقهية، مثل الشيعة بكل طوائفها، والمعتزلة والجهمية والكرامية والضرارية وغيرهم من الفرق.

تأثر الحنابلة خلال القرنين: 5-6هـ بها بالصراع المتأزم مع الأشاعرة، وقسّمهم إلى خمسة أصناف ضمن الانتماء العام للحنابلة، وهي: حنابلة متأثرون بالأشعرية، وحنابلة متأثرون بالاعتزال، وحنابلة متأثرون بالفلسفة اليونانية، وحنابلة متأثرون بالمجسمة، وهؤلاء هم "متكلمو الحنبلية"، وحنابلة سلفيون "أهل الحديث".

وقيل "متأثرين": لتمييزهم عمن اعتنق المقالة جملة، لأنهم أخذوا بأقوال؛ وحافظوا على قواعد وأصول مذهبهم، وبعضهم كان متذبذبا [15].

وهذه القاعدة يخالف فيها طائفة معاصرة من أتباع المدخلية، حيث يؤصلون أن من خالف في شيء من الأصول؛ بأي وجه كان؛ يتم اقصاؤه من أهل السنة والجماعة، وهم نموذج حي لمن سبقهم ممن فاقم في الأزمة العقدية داخل البيت السني. أما من سبق؛ فقد فرق بين المجتهدين والمبتدعين، وبين من قال بالمقالة وتبناها كاملة، ومن تذبذب أو تأثر بوجه دون آخر، ومن خالف في أصل دون باقي الأصول، لذا صنفوا الحنابلة (أهل السنة والجماعة) إلى:

الصنف الأول: المتأثرون بالأشعرية:

كالقاضي أبو يعلى الفراء (ت458هـ- 1066م)، أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت513هـ- 1119م)، أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي (ت527هـ- 1133م) [16]. أبو الفرج صدقة بن

الحسين بن الحداد البغدادي (ت573هـ- 1177م) [17]. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ- 1201م) [18]. أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت513هـ- 1119م)، مال للأشعرية، ثم الاعتزال، ثم عاد لمذهب الحنبلية السلفية [19].

الصنف الثاني: الحنابلة السلفيون:

المتمسكون بمنهج أحمد وأهل الحديث في أصول الدين والشريعة؛ وهم جمهور علماء الحنابلة، وغيرهم من المذاهب الفقهية الثلاثة.

والظاهر من تراجم الحنابلة أن قلة هم من تأثروا بالفرق الأخرى، وأغلبهم خالفوا في مسائل وأصول وحافظوا على غيرها. وقلة من الحنابلة مالت إلى التأويل. وقلة أخرى بالغت في الإثبات حتى أوهمت التشبيه والتجسيم [20].

بدايات الأزمة العقيدية حين أظهر المتكلم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري (ت بعد 240هـ- 854م) بعض أفكاره المخالفة لمذهب الحنابلة السلفية، باعتبارهم أهل السنة والجماعة في زمنهم؛ وحصرية اللقب عليهم في مقابل الشيعة والخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم، ولم ينازعوا فيه وقتها. وأصبحت مقالة ابن كلاب - وهو يعلن انتماءه للحنابلة أهل السنة والجماعة - تجمع بين عقيدة سلفي الحنابلة (أهل الحديث) وبعض أصول المتكلمة من الجهمية والمعتزلة، فقد صنف في الردود على المعتزلة والجهمية وغيرهم، واستعمل منهجهم في إبطال أصولهم؛ مع الاستناد لأصول أهل السنة والجماعة (سلفيو الحنابلة)، فركب أسلوبا جديدا؛ يجمع بين علم الكلام وأصول الحنابلة (السلفية)، منهج متكلمي الحنابلة. ووجد أتباعا؛ آمنوا به ودعوا إليه، عُرفوا بالكلابية، كالحارث المحاسبي (ت243هـ-857م)، وأبو العباس القلانسي (ت487هـ- 1094م). ثم اتبعه أبو الحسن الأشعري في أمور.

ومعاجم التراجم والتواريخ والسير تثبت أن الإمامين ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري يثبتون لقب أهل السنة والجماعة للحنابلة (سلفيو الحنابلة)، وابن كلاب كان يعد نفس واحد منهم؛ لكن اجتهد في الرد على خصوم أهل السنة والجماعة، وأبو الحسن الأشعري حين مجاهرته بتوبته عن الاعتزال أعلن دخوله منهج أهل السنة والجماعة ومتابعته للإمام أحمد بن حنبل.

يفهم أن الحنابلة (السلفية) لهم أسبقية الوسم بلقب أهل السنة والجماعة بقول ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري، وخصوم أبي الحسن الأشعري حين ردوا عليه حاجوه بمذهب أهل السنة والجماعة، وبعضهم حين أنكر عليه؛ أخرجه من مذهب أهل السنة والجماعة. فقد روى ابن الجوزي (ت597هـ -1201م)، أن أبا الحسن الأشعري عندما خالف أهل السنة في موقفه من كلام الله تعالى، أصبح خائفا على نفسه، يبحث لها عن مجير؛ خوفا من القتل. وكان على رأس المعارضين للأشعري (ت330 هـ-942م) ببغداد طائفة من الحنابلة بزعامة شيخها أبي محمد الحسن البربهاري (ت329هـ -940م)، ولم تعترف به عندما أعلن انتسابه لإمامهم أحمد بن حنبل.

وحين بادرت طائفة من الحنابلة؛ ونركز هنا على التبعيض، فلم يهاجمه كل حنابلة ببغداد، وهي عاصمتهم ومركزهم الذي لا يزاحمهم فيه أحد آنذاك، وفيها مشايخ وعلماء كثر. لكن امتازت طائفة بالعداوة لمقالته في الكلام، ثم أخذها العداء لرفضه وبغضه ثم تبديعه، ثم التطرف لحد محاولة قتله. كما حاول بعض متشددي الحنابلة المعارضين للأشعري مرارا نبش قبره وطمسه نهائيا، وروى الحافظ ابن عساكر أن جماعة من الحنابلة مرت يوما بقبره -أي الأشعري- فتخلّف أحدهم وبال عليه، فعاتبه فقيه سمع بفعلته، فرد عليه بقوله: "لو قدرت على عظامه لنبشتها، وأحرقتها"[(21)].

فأبو الحسن كان يعلن انتماؤه للحنابلة (أهل السنة والجماعة) وانتسابه لأحمد ومتابعته لأهل السنة والجماعة، ولم يعلن المخالفة أو الطعن فيهم، وهو ثابت قطعا بالتراجم والتواريخ. فمن يطرد الحنابلة (السلفية) من أهل السنة والجماعة، هل يثبت أنهم خالفوا الحنابلة الأول والإمام أحمد بن حنبل، مخالفة تقصيهم من مذهبه، هذا ما لم يقل به لا الإمام أبي الحسن ولا تلامذته، ولا من لحقهم، ومن وُصِفوا من الحنابلة بالتشبيه والتجسيم: قلة.

ورغم تلك المعارضة الشديدة، فإن الأشعري وأصحابه الأوائل وجدوا ببغداد جماعة من أهل السنة احتموا بها، وانتسبوا إليها، وكان من أعظم المائلين إليهم التميميون، أبو الحسن التميمي الحنبلي (ت371هـ- 982م)، وابنه وابن ابنه"[(22)].وكان أبو بكر غلام الخلال الحنبلي البغدادي يعد أبا الحسن الأشعري من متكلمة أهل السنة الموافقين لمذهب السلف في الجملة[(23)].

فقد رأت طائفة من الحنابلة (السلفية) أن مخالفة أبي الحسن الأشعري هي اجتهاد داخل المذهب العام، لا تصل درجة اقصائه، وإن خطؤوه، فهم يراعون في مخالفته ثباته على السنة، واختلافهم عليه في فهمها، لذلك قال ابن عساكر (ت571 هـ/ 1176م): " لم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر- على ممر الأوقات- تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع، لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات"[(24)].

ثم وقعت فتنة ابن القشيري سنة (469 هـ-1076م) ببغداد، حين استقر بالمدرسة النظامية، فأخذ يحط على الحنابلة ونسبهم إلى التجسيم. مع العلم أن من قال بالتشبيه قلة؛ وقد اعترض عليهم قبله الحنابلة (السفلية).

فلما سمع به شيخ الحنابلة الشريف أبو جعفر (ت470هـ-1076م)، تألم لذلك وأنكر عليه فعلته، ثم هاجمت جماعة من أصحاب ابن القشيري مسجد الشريف أبي جعفر، فرماهم الحنابلة بالآجر، واشتبك الطرفان في مصادمات دامية، قُتل فيها نحو عشرين شخصا من الجانبين، وجُرّح آخرون. ثم توقفت الفتنة لما مالت الكفة لصالح الحنابلة.

فلما حدث ذلك أجمع علماء الأشاعرة على الخروج من بغداد إلى بلاد خُراسان حيث الوزير السلجوقي نظام الملك، فلما سمع بهم الخليفة المقتدي بأمر الله (467-487ه) أسرع لُيصلح بينهم، لكن فشلت محاولة الإصلاح. فكتب علماء الأشاعرة رسالة إلى نظام الملك أخبروه فيها ما حلّ بهم على يد الحنابلة ببغداد، ووصفوهم له بأبشع الألفاظ القبيحة، واتهموهم بأشنع الاتهامات، وحرّضوه على قطع دابرهم، وأنه لا يجوز السكوت عنهم.

و المتدبر للحوادث يلمس استقواء القشيري بدولة السلاجقة الأشعرية، ويلمح الجرأة والجسارة التي قادته لتعمد اشعال الفتنة بحمية طائفية عاصفة، فبغداد كانت هادئة، لكنه ورد عليها وهجم على الحنابلة في عقر دارهم، وهو صنيع لم يسبقه إليه أشعري، خاصة ممن كانوا ببغداد من علماء الأشاعرة، ثم زاد الأمر سوء، بتحويل الإنكار والتهم والتبديع - وهي سابقة بينهم في بغداد- إلى هجوم واقتتال، ثم التطرف بطلب عون السلاجقة للقضاء على الحنابلة، وهنا استثمار في الخلاف القائمة بين الخليفة العباسي الحنبلي والسلطان السلجوقي

الأشعري، فنلمح بوادر تداخل المؤامرات السياسية مع العصبية الطائفية، ومحاولة الاستفادة منها، فمن أطلق الفكرة أولا ؟

تعد فتنة القشيري أخطر أزمة عصفت بالتقارب بين الحنابلة (السلفية) والأشعرية، فباعدت بينهم منهجا وسلوكا، وزادت العداء لأقصى حدوده، وتبعتها أزمات تولدت منها، فصار تكفير الأشاعرة للحنابلة ونعتهم "بالتجسيم" و"الحشوية" من أدبياتهم المسلم بها بين الأتباع.

وأصبح إخراج الأشاعرة من زمرة "أهل السنة والجماعة" من مقررات الحنابلة؛ إلا عند أهل التحقيق منهم.

- وفي سنة (470 هـ-1077م) كفر فقيه أشعري الحنابلة، فاندلع قتال بين الطرفين، وهذه امتداد لفتنة ابن القشيري [25].

- ثم فتنة أبي بكر البكري المغربي الأشعري ببغداد سنة (476 هـ-1083م)، حيث كان يذم الحنابلة ويستخف بهم، فحدث بينه وبينهم سباب وخصام ومواجهات [26].

- ثم وقعت فتنة الواعظ أبي الفتوح الإسفراييني الأشعري (ت538هـ-1143م) ببغداد سنة (515 هـ-1121م)، لذمه الحنابلة والتهجم عليهم واستفزاز عوامهم [27].

- ثم حدثت فتنة محمد بن تومرت المغربي المصمودي (ت524هـ-1130م)، فقد كفر ابن تومرت مخالفيه من المغاربة بدولة المرابطين (451 - 541 هـ/ 1060 - 1147م)، واتهمهم بالتشبيه والتجسيم، واستباح دماءهم وأموالهم[28]. وهذه سابقة لم يقل أو يقم بها الأشاعرة، ولا فعلها الحنابلة بهم، وإن وقع تهديد أو تكفير، فمن أتباع من العوام.

- ثم فتنة نجم الدين الخبوشاني (ت587 هـ-1191م)، حين نبش قبر المقرئ أبي عبد الله بن الكيزاني الشافعي (ت562هـ-1166م) المدفون بقرب ضريح الإمام الشافعي بمصر، ونقل رفاته لمكان آخر، وقال: هذا رجل حشوي؛ لا يكون بجانب الشافعي. وفي رواية أخرى أنه قال: لا يكون زنديق بجانب صديق. فثار عليه الحنابلة وأهل الحديث وتألبوا عليه، وجرت بينهما حملات حربية انتهت بانتصاره عليهم، وحدثت بينه وبين الحنابلة فتن كثيرة، فقد عرف بأنه مسعر شغب [29].

نلاحظ فيما سرد من أحداث أن مشعليه من العلماء هم كمن أسماهم أبو حامد الغزالي "علماء السوء"، فلم تراع عندهم حرمة الدين ولا حرمة الدم، ولم يكتفوا بالخلاف العلمي النظري، أوالعقدي والتعبدي، بل سعوا للقضاء على مخالفهم، واستماتوا في الاستفزاز والترصد وكيل التهم، والتجييش للعوام، وكثرت مصنفات الردود والغلو في التنفير، وحشن الكتب بالشائعات والأكاذيب، والتساهل في النقل. بل نقل الأشاعرة المتأخرة عن خصومهم المعتزلة عبارة " الحشوية" في ذم أهل الحديث، والغريب أن هذا الذم من المعتزلة يقع على متكلمي الحديث من الأشاعرة، وهو مراد المعتزلة. ومثل ذلك من متأخري سلفي الحنابلة بتبديع الأشاعرة وطردهم من أهل السنة والجماعة، وشتمهم بمخنثي المعتزلة والجهمية المقنعة وأهل الأهواء.

ولأجل ذلك نشأ جيل في كلا الطرفين ورث الصراع والعداء، ولم يصل للأصول الأولى، وورث مقالات لم يتناقلها سلف الحنابلة ولا سلف الأشاعرة، وهنا يقود الغيظ لمزيد منافرة وقبول الأقوال المعادية للخصم، حتى ولو كانت من خصم لهما، بمعنى؛ سنجد لدى الحنابلة روايات ضعيفة، أصلها يعود لأكاذيب الجهمية على الكلابية والأشعرية، وسنجد ميل مدارس أشعرية للاستقواء أكثر في الجدل بأصول المعتزلة، ثم تبني أقوالهم للجهمية والمرجئة، رغم أن أوائل علماء الأشاعرة كانوا من أشد منظري الردود عليهم، مع التنويه أن الكلام يشمل مدارس أشعرية دون أخرى.

ثالثا: تجاذب الطائفتين الانتماء إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

حصلت تاريخيا مصادمات وجدل بين الأتباع من حين لآخر؛ لما يلحق المذاهب من الاستقواء بكثرة السواد، فتنحو الأتباع لفرض الرأي بالقوة، وهذا ما كان من بعض الحنابلة (السلفية)، ثم وقع من بعض الأشاعرة لما قامت لهم وزارة ودولة تنصرهم، فالعامة تستقوي بكثرة سوادها حول حلقة الانتماء، وتستأسد كلما نما قوامها وظهر أثرها وعلا حسها، فتتميز عن غيرها، ومن هنا تنفر من كل غريب عن سماعها، وتعد كل اختلاف مخالفة تقود للنفرة، وتسارع للهجر والتبديع قبل ذلك، وهنا؛ ما لم يكن للعلماء وللمشايخ فقها للدعوة، وملكة لاستيعاب الاختلاف والتقارب، وكبح جماح الأتباع والعامة عن تحميل المسائل الخلافية أكثر مما يحق لها، وبيان عدم أهليتهم للخوض فيها، ولا اتخاذ ردود فعل معادية، وتثبيت قلوب

الأتباع وتربيتهم على العودة لمرجعياتهم العلمية، وعدم التصدر لمثل هذه الخلافات، إن لم يكن كل ذا؛ كان هلاك الوحدة وتفتيت الجماعة؛ أي جماعة؛ حتى لو كانت الجماعة الأم، وهو ما يحكيه تاريخ المسلمين، حتى تصل لأن يتصدر مشايخ وعلماء متعصبون، وإن كانوا علماء، وإن كان بعضهم على حق في معتقده أو رأيه أو قضيته، لكن اعتصامهم بالحق؛ زاد عليه غلو ضد المخالف، وتطرف في الرد، فيرفع بعضهم شعبيته بإشعال الحمية الطائفية، وبعضهم تقوده الحمية والغيرة الزائدة - مع صدق النية- لتوجيه القضية نحو التطرف العنيف، وهذا الصنيع خاضع أحيانا للتركيب النفسية للداعية والتركيبة الثقافية والاجتماعية، ثم التركيب العلمية، وهو ما يمس كل أفراد البشر. فبعض العلماء لديه علم وتقوى؛ لكن به جفاء معاملة - قد لا ينتبه له-، ومن العلماء من يقطن بمناطقة قليلة التنوع الثقافي والاجتماعي، فينشأ في بيئة ويعيش في جو لا يتفاعل من التعددية الفكرية والاختلاف، وهنا يكون رد فعله جد مخالف لمن ينشأ وسط بيئة متعددة المشارب، ورأى اضطراب الأقوال، فيلتمس الأعذار ويتفهم الاختلاف.

تجلّت مظاهر الأزمة العقدية ضمن بيت أهل السنة والجماعة في فتن ومصادمات وتشاجر واستقواء بالسلطة السياسية والعسكرية، والاتهامات والتكفير والتضليل. وتجاذب الحنابلة السلفية والأشاعرة الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، وتحاقوا فيه، وأقصى طائفة منهم الآخر، واشتهر لدى الحنابلة السلفية اقصاء الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، واشتهر لدى الأشاعرة إقصاء الحنابلة السلفية من أهل السنة والجماعة.

مقرر بعض الحنابلة السلفية أن الأشاعرة من أهل الأهواء وقد خالفوا أصول السلف، ومذهبهم حادث من قبل إمامهم الذي خالف أصول أهل السنة والجماعة، ثم عددوا المسائل التي خالف فيها الأشاعرة معتقد السلف من أهل السنة والجماعة من أيام أبي الحسن الأشعري إلى عصرنا.

ومنهم أبو القاسم اللالكائي الشافعي (ت418هـ- 1027م) قال بأن الأشاعرة من المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة [30]. ومثله الحافظ أبو نصر السجزي (ت444هـ - 1053م)، أبو علي بن البناء البغدادي الحنبلي (ت471هـ- 1079م)، والقاضي أبو الحسين بن أبي يعلى (ت526هـ -1131م)، وابن الجوزي (ت597هـ -1201م) [31].

وفي كلمة للشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس الجزائري بعنوان: تسليط الأضواء على أنَّ مذهبَ أهلِ السُّنَّة لا يَنتسِبُ إليه أهلُ الأهواء [32]. نفى دخول الأشاعرة في مسمى أهل السنة والجماعة، وفي أهل السنة، وقرر أن من أدخلهم ممن سبق من علماء السلف؛ فمن باب التسامح معهم في مقابل الشيعة والمعتزلة، بل وجعل كل متعاطف معهم أو مع غيرهم مقصيا من أهل السنة والجماعة.

أما مقرر الأشاعرة فهو أن الحنابلة السلفية خالفوا عقائد السلف وقالوا بالتشبيه والتجسيم، ومالوا في آرائهم للكرامية، وهو حشوية القوم والفهم.

وفي تحقيق المسألة نجد تأل وتقول من كلا الطرفين، لكن مع اختلاف في جرعة التعصب والتدليس. فكون الأشعري ليس من أهل السنة والجماعة وأتباعه؛ هو خلاف تقرير كبار محققي علماء الحنابلة السلفيين، مع انكارهم لبعض ما خالفهم فيه الأشعري وأتباعه من بعده؛ إلا أنهم لم يعدوا ذلك خروجا من أهل السنة والجماعة. وفصلوا في مسائل الخلاف، وبينوا تنوعه من مدرسة أشعرية لأخرى، كما أن رصد المسائل التي خالف فيها الأشاعرة الحنابلة؛ من الكلام المرهق، فمعلوم أن الأشاعرة خالفوا بعضهم البعض وردوا على بعضهم البعض، بل ردوا على مشايخهم وأئمته، وفي كتبهم المتأخرة تجد تعداد الأقوال في المسألة الواحدة.. فابن فورك - مثلا- قيل أنه أول أشعري عرف عنه نفي الجهة وتأويل الاستواء. وأبو المعالي الجويني أول أشعري خلط المنطق بعلم الكلام، والغزالي خلط بين الفلسفة وعلم الكلام. " ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة، والتبس شأن الموضوع في العلمين (أي الفلسفة والكلام) فحسبوه فيهما واحداً.. كما فعله البيضاوي في (الطوالع) "[33]

فإن قيل أن الأشاعرة ليسوا سلفية، فذاك المراد من كبار محققي المذهب السلفي الحنبلي لأهل الحديث، أما إن قيل ليسوا من أهل السنة والجماعة، فهذه أصولها الجامعة الأولى تخالف هذا.

أما قول متأخري الأشاعرة أن الحنابلة السلفية ليسوا من أهل السنة والجماعة، فهذا اغتصاب حق، فوجوديا ومعرفيا وفيزيائيا الحنابلة كأهل سنة وجماعة خلقوا وترعرعوا قبل خلق إمام المذهب الأشعري، وعرف اللقب عنهم وفيهم قبل وجود الأشعري، والإمام الأشعري

حين رجع عن الاعتزال؛ أعلن رجوعه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل مذهب أهل السنة والجماعة، وأوائل الأشاعرة من وافقوا ابن كلاب والأشعري مقرون بهذا.

أما القول بأنهم خالفوا فيما بعد قول السلف ومعتقد أهل السنة والجماعة، فتدليس؛ إذ بعد البربهاري اشتد الصراع والجدل والردود، فكثرت التقول من كلا الطرفين، ولم يثبت مخالفة للحنابلة لإمامهم وسلفهم في المعتقد إلا من أفراد منه في بعض المسائل، أو تأثروا بطوائف أخرى، وقد أنكر عليهم الحنابلة السلفية.

ومقرر أبي الحسن الأشعري هو أن المسلمين اختلفوا: " عشرة أصناف: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية، والبكرية، والعامة، وأصحاب الحديث والكلابية"، "فصل: هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة" ثم حكى قول أهل الحديث (أهل السنة والجماعة)، ثم ختم: " فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب"[(34)].

فإمام المذهب يتنسب لأهل الحديث، وبنصوصه وتنصيص غيره أن رأس أهل الحديث في زمنه هو الإمام أحمد بن حنبل، وأنهم على عقد من سبق من سلفهم من أهل الحديث والسنة والسلف من الصحابة والتابعين، وهم أهل السنة (أهل السنة والجماعة)، ويفرق بين أهل الحديث والكلابية، وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة، وهم الحنابلة السلفية، وهم المشتغلون بالحديث رواية ودراية ومنهجا ومصدرا.

ويقرر قول أهل الحديث (الحنابلة السلفية) الذي هم عليه حتى الآن، ويتبناه بعد سرده لمعتقده بالإجمال؛ في الأسماء والصفات، والاستواء، والصفات الخبرية، وانكارهم للجدل في القدر وغيره ونهيهم عن علم الكلام، وغيرها.

ولم ينعتهم بالحشوية كما تقول عنهم المعتزلة والجهمية ومتأخرو الأشاعرة، ولا أنكر انتماءهم لأهل السنة والجماعة، وقال: " قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها.. وبما يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون.."[(35)].

وهـذا مـا يميـل إليـه الأشـاعرة الأثريـة مـن القـدامى والمحـدثين، وصـنفوا بمتكلمي أهـل الحـديث (الأشـعرية الأثريـة) مـن طـرف بعـض الحنابلة(السـلفية)، وهـم على خـلاف متـأخري الأشـاعرة (الأشـعرية الكلاميـة، متكلمي أهل الإثبات) ممن مالوا للاعتزال والفلسـفة في مسـائل كثيرة، وهذا ما يقرره كثير من أئمة الأشاعرة ممن اتبع مذهب الأشعري في "الإبانة"، كأبي بكر الإسـماعيلي (ت371هـ-982م) والبيهقي وابن عسـاكر والـذهبي؛ وغيرهم؛ ممن صـنفوا بمتكلمي أهـل الحـديث. ووافقـوا في الأصـول الحنابلـة السـلفية ومقـرر أهـل السـنة والجماعـة، حتى في الموقف من الخوض في علم الكلام.

واشتهار مذهب الأشاعرة بين العلماء كان لاعتدادهم بمذهب أهل السنة والجماعة، ثم اتبـاعهم مـنهج المتكلمـين في الـدفاع عنـه، لكـن كانـت لهـم تطـورات في مقـالات باجتهـادهم في مسائل عقدية بعضها من دقائق ومضائق المسائل، مع إعلائهم للسـنة، والتـصنيف فيها روايـة ودرايـة، وشـهد للكثير منهم بـالعلم والتقـوى والديانـة، والانتصـار للحـق حيثمـا ثبـت لـديهم، والاجتهاد، فهل يكونوا هؤلاء من أهل الأهواء ؟

الحقيقـة أن مذهب أهـل السـنة والجماعـة يسع الحنابلـة السـلفية أولا قبـل الأشـاعرة، وهـذا مقرر كبار الأشاعرة قبل القشيري، ويسع الأشـاعرة والماتريدية، وقـد ذكـر طائفـة من أهل الحديث والحنابلة أن الأشـاعرة والماتريدية من أهل السـنة الجماعـة، ولنذكر منهم على سـبيل المثـال: الإمام محمد بن إبراهيم ابن الـوزير اليمـاني[36].والإمام ابن أبي العز الحنفي شـارح الطحاوية[37].الإمام مرعي بـن يوسـف الكرمـي الحنبلـي[38].الإمـام محمـد السـفاريني الحنبلـي "صـاحب العقيـدة السفارينية"[39]. الإمام عبد الباقي المواهبي الحنبلي[40].وشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقـد جعلـوا الخـلاف بين الحنابلـة السـلفية والأشـاعرة تفريعـا بين أهـل السـنة والجماعـة. وحين سـؤل مجموعـة من العلماء السـلفيين الحنابلة المعاصرين بالمملكة العربية السـعودية: ما حكم التعامل مع المخالف لعقيدة السلف الصالح كالأشاعرة والماتريدية.. ؟

.. فجواباً على ذلـك نقـول: الأشـاعرة والماتريديـة قـد خـالفوا الصـواب حين أولـوا بعـض صـفات الله سـبحانه. لكنهم من أهـل السـنة والجماعـة، وليسـوا من الفـرق الضـالة الاثنتين والسـبعين، إلا من غلا منهم.. أما سـائر الأشـاعرة والماتريدية فليسـوا كذلك، وهـم معذورون في اجتهادهم، وإن أخطأوا الحق.. وهـذا شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه الله قـد تتلمـذ على كثير

من العلماء الأشاعرة، بل قد قاتل تحت راية أمراء المماليك حكام ذلك الزمان وعامتهم أشاعرة.. إن كثيراً من علماء المسلمين وأئمتهم أشاعرة وماتريدية.. بل جميع شراح البخاري هم أشاعرة وغيرهم كثير، ومع ذلك استفاد الناس من عملهم، وأقروا لهم بالفضل والإمامة في الدين، مع اعتقاد كونهم معذورين فيما اجتهدوا فيه وأخطأوا، والله يعفو عنهم ويغفر لهم. والعلماء الحنابلة المعاصرين الذين أفتوا بذلك هم: د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ/ عميد كلية القرآن في الجامعة الإسلامية سابقًا. د. محمد بن ناصر السحيباني/ المدرس بالمسجد النبوي. د. عبد الله بن محمد الغنيمان/ رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقا. وقد وافقهم عليه: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان[41].

رابعا: موقف ابن تيمية من الأشاعرة:

يقرن ابن تيمية الأشعري بابن كلاب والأشعرية بالكلابية، ويشهد أنهما خير من طوائف المتكلمين، وأنهم الأقرب لطرق السلف الموافقة للطرق القرآنية، فمن اقترب من طرق السلف في السمعيات كان الأكثر صوابا في العقليات، ولهذا كان المتكلمة الصفاتية أقرب[42].

وموقف ابن تيمية من تلك الفتنة لم يكن معاديا للأشاعرة، خلاف ما يروج له كلا الطرفين، وذلك بنقل الجدال المعرفي والردود العلمية على أنها صورة لحرب طائفية، والعجب أن متابعي ابن تيمية من السلفية يقرؤون أنه كان بين الأشاعرة في دمشق ومصر، ولهم مجالس ودروس ومحاضرات، وله مشايخ وأصحاب وتلاميذ أشاعرة، وأن كثيرا من الأشاعرة مدحوا اين تيمية وإن اختلفوا معه، وهو مدح كثير من أعلام الأشاعرة في زمانه علماء وأمراء، واختلف مع طائفة منهم، فسعت في سجنه، بل وقتله وتكفيره، لكن نقول "طائفة"، أغلبهم تراجع بعد أن أخرج من السجن في مصر، وهو عفى عنهم، وفي دمشق مشى في جنازته دمشق بأهلها؛ عدى ثلاث نفر، واقرأ عن دمشق كم عالم أشعري كان فيها أيام وفاته.

فموقفه ثابت في تأليف القلوب، ومقارباته بين وجهات النظر بين الأشعرية والحنبلية السلفية، حيث قال: " الأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية، كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم، وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري "[43]. وذكر نقلا عن ابن عساكر؛ أن الحنابلة (السلفية) والأشاعرة كانوا متفقين غير مفترقين حتى حدثت فتنة ابن القشيري[44]. ووافقه الرأي.

سعى ابن تيمية لإزالة الوحشة والمنافرة، تأليفا لقلوب المسلمين وطلبا لاتفاق كلمتهم واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله [45]. فاصطلحت الحنبلية (السلفية) والأشعرية، واتفق الناس كلهم، لما رأى الحنبلية كلام أبي الحسن الأشعري، وزالت الأضغان، وصار الفقهاء من الشافعية وغيرهم يقولون الحمد لله على اتفاق كلمة المسلمين [46]

ثم أكد ابن تيمية أن الأشعري وأصحابه منتسبون إلى السنة والجماعة[47]. وهم متكلمة أهل السنة [48]. لما عرفوا من تعظيمهم للسنة، وإعلائهم للكتاب، وهم من أهل السنة والجماعة، وأقرب الطوائف لمذهب أحمد [49]. وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة، فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ما انتفع به خلق كثير" [50].

"وشيخ الإسلام من خلال هذا المنهج المتكامل سار على طريقة متوازنة، فالأشاعرة الذين رد عليهم طويلاً لم تمنعه هذه الملاحظات من أن يقول عنهم: إنهم من أهل السنة " [51].

وكل من يرى بتسمية " السلفية" لأهل السنة والجماعة أو الحنابلة (عقدا)؛ ملزم بالإقرار أن أهل السنة والجماعة: هم "السلفية" و"الأشعرية" و"الماتريدية". فابن تيمية حين يعتمد هاته النسبة إنما يراعي الخلاف الذي وقع مع متأخري الأشاعرة، حين مالوا كثيرا للجهمية والاعتزال، ومتقدميهم الذين كانوا أقرب "للحنابلة" فصنفوا "أشعرية أثرية".

والخلاف القائم بين الحنبلية السلفية ومتأخري الأشاعرة محل النزاع فيه تقرير مسألة "مرجعية السلف" في باب العقائد، وقد شاع بين متأخري الأشعرية قضية "تعارض العقل مع النقل"؛ واشتهار "قانون الرازي" في تقديم العقل، ثم قيل " مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم". وهذا التقرير خاض ابن تيمية في الرد عليه لأنه مناط النزاع، وحله يمهد لسحب خلافات كثيرة جدا، ومن هنا كان من قواعد ابن تيمية في النقد التحاكم لعقد السلف، وتقديم معتقدهم كحجة على غيرهم، وقرر أن: مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم.

فنسبة "أهل السنة والجماعة" حين انتشرت؛ كان الأشاعرة المتقدمين يُعدون من "متكلمي الحنابلة"، لذا كانوا من "أهل السنة والجماعة"، وهو مقرر في مصنفات أئمة الحنابلة المتقدمين، فكان فصل الخلاف في تصنيف مقرر المذاهب أن يكون الحنابلة عقدا:

سلفية، لتحاكمهم للسلف وتقريرهم لعقيدتهم، والرجوع لهم شريعة ومنهجا وتوحيدا، بينما متأخرو الأشاعرة قرروا أن معتقدا أعلم وأحكم؛ ففارقوا منهج السلف وتميزوا عنهم.

وكان اعتماد ابن تيمية في أصول تقريراته؛ لمصطلح النسبة "السلفية" لإقراره بأن الأشاعرة من "أهل السنة والجماعة" ضمنا، وهو ما يكرره كثيرا.

وكان ابن تيمية حريصاً على وحدة المسلمين، وتأليف قلوبهم، والتقريب بينهم، وإزالة الوحشة التي تقع في قلوب المختلفين، ولم يقف انكاره على من هم من غير طائفته، بل أنكر على بعض الحنابلة غلوهم في الإنكار، وأنكر منافرتهم للأشاعرة، والتحريض من بعض الحنابلة على أفاضل من الأشاعرة، فكان من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين، وطلباً لاتفاق كلمتهم، [52].

الخاتمة:

الملاحظ في غالب الأزمات والفتنة التي حدثت بين الحنابلة (السلفية) والأشاعرة أن غالب نقد الحنابلة للأشاعرة رميهم بالبدعة أو الخطأ أو التضليل، وهو مقرر السلف الذي بينه ابن تيمية، بأن السلف يخطئون ويبدعون، وأهل البدع يكفرون، وندر فيهم من يكفر الأشاعرة، والأشاعرة الأول يعدون خلافهم علميا، لكن يسارع الأشاعرة الخراسانية مثل ابن فورك ومن تبعه كتلميذه ابن القشيري إلى تكفير الحنابلة، ويفجّرون في الخصومة لفظا وفعلا. حتى قيام دولة ابن تومرت التي تسمى أتباعها "بالموحدين" لحكمهم على مخالفيهم بالكفر. وكانت الأزمة تزيد كلما استخدمها السياسي ووظفها كورقة ضغط في صراعاته.

لكن اجتهادات الأشاعرة والماتريدية والحنابلة لا تُخرج أصحابها من أهل السنة والجماعة، لأن المسمى يرتبط بالأصول الكلية الكبرى الثابتة داخل إطار أهل السنة والجماعة. وهذه الحمية الطائفية نراها تتوهج وتخبو من زمن لآخر ومن مكان لغيره، لكن دائما يحركها طائفة من المتعصبين بقيادة بعض الدعاة أو العلماء، حتى صار الخلاف بين الطائفين من الأصول التي تلقن، وأصبح اقصاء كل واحد للآخر من قواعد الولاء والبراء. مع استمرار الخلاف بين المعاصرين في كلا الفرقتين.

لكن تحقيق الكلام وما يطمئن له القلب والعقل: الأشاعرة والحنابلة كلهم في دائرة أهل السنة والجماعة؛ وإن اختلفوا وردوا على بعضهم، فالحنابلة السلفية والأشاعرة -أي السلف والخلف- يدخلون في دائرة أهل السنة والجماعة بما ثبت من أصولهم المرجعية ونظرية المعرفة القائمة لديهم، وإن كان بينهم خلاف في مسائل وبعض الأصول، والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبانة عن أصول الديانة: أبي الحسن الأشعري؛ تح: فوقية حسين محمود، دار الأنصار: القاهرة، ط (1)، 1397هـ
2. الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث - خلال القرنين: 5 - 6 هـ: خالد كبير علال. دار الإمام مالك: البليّدة. ط (1)، 2005.
3. الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي؛ تح: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان: الرياض، ط (1)، 1412هـ - 1992م.
4. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي؛ تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط (1)، 1406.
5. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: جدة. ط (1)، 1426هـ
6. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر. دار الكتاب العربي: بيروت. ط (3)، 1404هـ.
7. تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب: أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي التونسي؛ تح: نزار حمادي. مؤسسة المعارف: بيروت، ط (1)، 1428هـ - 2008م.
8. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي؛ تح: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة: بيروت. ط (2)، 1420هـ - 1999م.
9. درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي؛ تح: عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية: بيروت. (1)، 1417هـ - 1997م.
10. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي؛ دار الحديث: القاهرة، ط (1)، 1427هـ - 2006م.
11. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم؛ تح: أحمد سعد حمدان. دار طيبة: الرياض، 1402.

12. شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي؛ تح: شعيب الأرناؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة: بيروت. ط (10)، 1997م.

13. شرح حديث النزول: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي. المكتب الإسلامي: بيروت. ط (5)، 1397هـ - 1977م.

14. طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد؛ تح: محمد حامد الفقي. دار المعرفة: بيروت. ط ()، دت.

15. العبر في خبر من خبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي؛ تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية: بيروت. ط ()، دت.

16. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ابن الوزير محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي؛ تح: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط(3)، 1415هـ - 1994م.

17. العين والأثر في عقائد أهل الأثر: عبد الباقي المواهبي الحنبلي؛ تح: عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث: القاهرة، ط1، 1407هـ - 1986م.

18. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف الكرماني شمس الدين؛ تح: محمد محمد عبد اللطيف، المطبعة البهية المصرية: القاهرة. ط (1)، 11356 - 1937.

19. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن بن تيمية الحراني؛ تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية، ط(1)، 1416هـ - 1995م.

20. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني؛ تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم: الموصل. ط(2)، 1404 - 1983.

21. النبوات: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني؛ تح: عبد العزيز بن صالح الطويان. أضواء السلف: الرياض. ط (1)، 1420هـ - 2000م.

22. هل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة؟ جمع من العلماء. موقع الاسلام اليوم. 29/ 06/ 1427هـ

الهوامش:

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير. ج 4، ص 127.
(2) منهاج السنة: ابن تيمية. ج 2، ص601.
(3) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية. ج 2، ص(91- 92).
(4) مجموع الفتاوى: ابن تيمية. ج3، ص 346.

(5) الاعتصام: الشاطبي. ج2، ص262.
(6) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني. ج 13، ص37.
(7) رواه الطبراني في الكبير من طرق. ج 8، ص 321- 328.
(8) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير. ج6، ص419.
(9) الاعتصام: الشاطبي. ج 2، ص260.
(10) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكائي. رقم (162- 163).
(11) الاعتصام: الشاطبي. ج 2، ص 261.
(12) شرح الكرماني على البخاري: الكرماني. ج25، ص75.
(13) شرح السنة: اللالكائي. رقم (160).
(14) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني. ج13، ص37.
(15) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث- خلال القرنين: 5- 6هـ: خالد كبير علال. ص (16- 31). (73- 80).
(16) شرح حديث النزول: ابن تيمية. ص (63، 145).
(17) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية. ج 8، ص25.
(18) النبوات: ابن تيمية. ص 154.
(19) طبقات الحنابلة: أبي يعلى. ص 413.
(20) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية. ج3، ص (305- 307).
(21) تبيين كذب المفتري: ابن عساكر. ص 413.
(22) مجموع الفتاوى: ابن تيمية. ج4، ص167.
(23) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية. ج1، ص 270.
(24) الفتاوى الكبرى: ابن تيمية. ج9، ص133.
(25) المنتظم: ابن الجوزي. ج 8، ص 312- 313.
(26) المنتظم: ابن الجوزي. ج 9، ص (3- 4).
(27) العبر في خبر من خبر: الذهبي. ج 6، ص 172.
(28) سير أعلام النبلاء: الذهبي. ج 19، ص (645- 646).
(29) سير أعلام النبلاء: الذهبي. ج 20، ص 454/ ج 21، ص 205.
(30) شرح اعتقاد أهل السنة: اللالكائي. ج2، ص 330.
(31) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث: خالد علال الكبير. ص 99.
(32) http://ferkous.com/home/?q=art-mois-125.
(33) المقدمة: ابن خلدون. ص 30، 466.
(34) مقالات الإسلاميين: أبي الحسن الأشعري، ص2، (71- 73).

(35) الإبانة عن أصول الديانة: أبي الحسن الأشعري. ص21.

(36) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ابن الوزير اليمني، ج 3، ص331/ ج 4، ص118.

(37) شرح الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي. ص 188.

(38) أقاويل الثقات: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي. ص 133.

(39) لوامع الأنوار: محمد السفاريني الحنبلي. ج 1/ 73، ص 1/ 76.

(40) العين والأثر في عقائد أهل الأثر: عبد الباقي المواهبي الحنبلي. ص 52.

(41) هل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة ؟ جمع من العلماء. موقع الاسلام اليوم. 1427/06/29هـ.

(42) مجموع الفتاوى: ابن تيمية. ج4، ص72.

(43) المصدر نفسه: ج 6، ص53.

(44) المصدر نفسه: ج 4، ص17.

(45) المصدر نفسه: ج 6، ص53.

(46) المصدر نفسه: ج 3، ص269.

(47) المصدر نفسه: ج4، ص167.

(48) معارج الوصول: ابن تيمية. ص3- 5.

(49) مجموع الفتاوى: ابن تيمية. ج6، ص52.

(50) المصدر نفسه: ج13، ص (95- 99).

(51) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ج3، ص191.

(52) مجموع الفتاوى: ج3، ص (227- 228).